النقد الأدبـــــي في عهد الخلفاء الراشدين

د. رمضان امبارك رمضان بلعيد ــ كلية التربية الزاوية ـ
جامعة الزاوية

توطئـــة :

لم يكن للنقد الأدبي في هذه الفترة مفهوم مستقل في أذهان الدارسين العرب، بل كان يمر بصورة بدائية بعيدة عن التقنين، إلا أن هذه الفترة شكلت لبنة أساسية وبداية مهمة لتطور علم النقد الأدبي في وضع قواعده التي نحن عليها اليوم، ركز البحث على بعض المواقف والقضايا النقدية التي وضعها الخلفاء الراشدون لتأسيس علم النقد، هذه المواقف والقضايا النقدية كانت بداية لظهور بعض المقاييس والمعايير النقدية ذات الصيغة الدينية، والتي كانت بداية لظهور بعض المقاييس النقدية ذات الصيغة الدينية.

حيث ظهرت في هذه الفترة بعض المقاييس والمعايير النقدية التي كانت ذات طابع ديني وتتناسب مع المضمون الشعري للنقد العربي، وشكلت أساساً لتطوير وتنظير علم النقد الأدبي في العصور اللاحقة.

الكلمات المفتاحية :

النقد الأدبي، الخلفاء الراشدون، القضايا النقدية، المقاييس النقدية الدينية، النقد العربي.

the summary:

The literary criticism during the era of the Rightly Guided Caliphs did not have an independent and clear concept in the minds of Arab scholars, but rather went through a primitive stage far from codification. However, this period formed a fundamental cornerstone and an important beginning for the development of the science of literary criticism in establishing the rules that we have today.

The research focused on some of the critical positions and issues that the Rightly Guided Caliphs put in place to establish the science of criticism. These critical positions and issues were the beginning of the emergence of some critical standards and criteria with a religious form.

In this period, some critical standards and criteria with a religious character and consistent with the poetic content of Arab criticism emerged. These religious standards formed the basis for the development and systematization of the science of literary criticism in later eras.

Despite the fact that criticism during the era of the Rightly Guided Caliphs was in an initial stage far from codification, it formed an essential nucleus and an important beginning for the evolution of the science of literary criticism, laying the

fundamental foundations and the first criteria and approaches of literary criticism in the Arab heritage.

منهجية البحث:

تم اتباع المنهج التاريخي والوصفي التحليلي، وذلك من خلال استعراض مفهوم النقد في اللغة والاصطلاح، ثم التركيز على موقف الخلفاء الراشدين من النقد الأدبي وأهم القضايا النقدية التي طرحوها، وكذلك المقاييس النقدية ذات الصبغة الدينية التي بدأت بالظهور في تلك الفترة.

مباحث البحث:

1. مفهوم النقد في اللغة والاصطلاح.
2. المقاييس النقدية ذات الصبغة الدينية في عهد الخلفاء الراشدين.
3. النقد في العصر الجاهلي، وصدر الإسلام.
4. موقف الخلفاء الراشدين من النقد الأدبي وأهم القضايا النقدية التي طرحوها.

المبحث الأول ـ مفهوم النقد في اللغة والاصطلاح :

النقد في اللغـــة : جاء في لسان العرب: " نقد الرجل الشيء اختلس النظر إليه، ونقد رأسه نقره بإصبعه، والنقد خلاف النسيئة، ونقد الصيرفي الذهب والفضة : ميز جيدها من رديئها وقيل للذهب والفضة النقدان "[1]، ومنه انتقاد الكلام لإظهار ما به من العيب والناقد اسم فاعل والجمع نقاد [2] ويقال : نقد النثر ونقد الشعر إظهار ما فيهما من عيب أو حسن[3]، إذ يدور المعنى اللغوي حول البعض والتمييز وتغيير الحكم وإظهار النقص أو العيب في أي شيء.

النقد في الاصطلاح : لم يأخذ النقد الأدبي المعنى الاصطلاحي إلا في العصر العباسي، وكان قبل ذلك يستخدم للذم والاستهجان، بعد أن ألف قدامة بن جعفر كتابا في نقد الشعر وألف معاصره ابن وهب كتابه (نقد النثر) الذي بقي زمنا ينسب إلى قدامة، ويدور معنى النقد الأدبي في الاصطلاح حول تدبر النص الأدبي تقديرا صحيحا وبيانا لقيمته ودرجته الأدبية، ولكن مع اختلاف التعريفات التي عرف بها النقد الأدبي هناك عنصر مشترك بينها كلها هو أنه مجموعة الأساليب المتبعة مع اختلاف النقاد لفحص الآثار الأدبية والمؤلفين القدامى والمحدثين بقصد كشف الغامض وتفسير النص الأدبي والإدلاء بحكم عليه في ضوء مبادئ أو مناهج بحث يختص بها ناقد من النقاد، ومن القرن السادس عشر بإنجلترا وإيطاليا والسابع عشر بفرنسا وألمانيا أصبحت وظيفة الأديب وظيفة مستقلة معرفا بها، يعد النقد الأدبي أساسها

النظري لذلك دخلت فكرة النظرية الأدبية بما لها من قواعد وفلسفة فنون وعلم جمال في حيز مفهوم النقد الأدبي ولايزال الجدل قائما حول ماهية النقد الأدبي [4]

إذًا فمعنى النقد الأدبي في الاصطلاح يعني تقييم النص الأدبي وبيان أهميته.

المبحث الثاني ـ مقاييس النقد الأدبـــــي:

للنقد الأدبي مقاييس من أهمها:

1 ـ **مقاييس تقليدية شعريـــــة :** من ذلك نقد أبي تمام بأنه لم يصف لما درج عليه الشعراء السابقون ووصف السلاح عند الشعراء الماضيين.

2ـ **مقاييس لغويـــــة :** ويراد بها عدم الدقة في استعمال اللغة أو الخروج عن منهج الماضين في صوغ العبارات، كما عابوا على أبي تمام قوله:" لا أنت ولا الديار ديار" بحجة أن هذا من أقوال العوام

3ـ مقاييس بيانيـــــة: تتصل بالاستعارات والتشبيهات التي تكون الصور وتبني الخيال المؤلف

4ـ مقاييس إنسانيـــــة : وهي التي ينتزعها النقاد من طبائع النفوس.

5ـ مقاييس عقليـــــــة : ومردها الثقافة العامة والتجارب اليومية[5]

فالحكم على النص يعتمد على مقاييس عدة، أساسها العاطفة والأفكار والصور والخيال، ومن أبرز المعايير الشرعية التي وضعها الخلفاء الراشدون لتقييم الشعر والأدب هي:

1ـ مدى التزام الشعر والأدب بالقيم والأخلاق الإسلامية: كان هناك اهتمام خاص بمدى خلو الشعر والأدب من المحتوى الذي يتعارض مع الأخلاق والقيم الإسلامية، مثل الخمر والغزل الفاضح.

2ـ انتفاء الطابع المناهض للإسلام: الخلفاء رفضوا الشعر والأدب الذي يحمل مضامين معادية للإسلام أو الخلفاء أنفسهم، مثل قصيدة الأخطل التي مدحت بني أمية.

3ـ التوافق مع تعاليم الدين: كان هناك توجه لتحديد معايير دينية تقيس مدى التوافق بين الشعر/ الأدب وتعاليم الإسلام وأحكامه.

4ـآالدور التعليمي والتوجيهي للأدب: كان الخلفاء يرون أن الأدب ينبغي أن يلعب دوراً في التوجيه والتعليم الديني للناس، وليس مجرد غرض ترفيهي.

هذه المعايير الشرعية شكلت إطارًا أوليًا لتقييم الأدب والشعر في عصر الخلفاء الراشدين، وأثرت بشكل كبير على تطور النقد الأدبي في العصور اللاحقة، والناقد الأدبي ينبغي أن يتصف بحسن الذوق واتساع الثقافة والنظرة الموضوعية والمقدرة

على القياس والموازنة؛ فالذوق الأدبي إعداد فطري به يقدر الجمال، وبه يتم الاستمتاع به ومحاكاته بقدر ما نستطيع في أعمالنا وأقوالنا، وأن يتصف صاحب الذوق بصفاء الذهن وخصوبة القريحة وجمال الاستعداد وينمي الذوق بالتأديب والممارسة والتعلم (6)

المبحث الثالث ـ النقد في العصر الجاهلي، وصدر الإسلام:

لم تتبلور فكرة النقد الأدبي في هذا العصر بالصورة التي وصلت إلينا، إنما كان تعبيرا خاطفا ينم عن رأي من الإجادة أو الاستهجان للنصوص الأدبية عصرا بعد عصر حتى وصل إلى ما هو عليه وعلى ما نفهمه الآن.

كانت صفة الارتجال ملازمة للنقد في هذا العصر، كما كان هينًا يسيرًا ملائما لروح العصر والشعر العربي الذي كان بدوره عربي النشأة، لم يتأثر بمؤثرات أجنبية ولم يقم إلا على الذوق العربي السليم، وجد في أطوار تهذيب الشعر وفي اختيار المعلقات وتعليقها على الكعبة وفي حكومة أم جندب بين امرئ القيس وعلقمة، وحكومة النابغة بين الشعراء وكان يضرب له فيه قبة حمراء في عكاظ ويأتيه الشعراء وينشدونه أشعارهم، ومن حكم ربيعة بن جذار الأسدي على الزبرقان بن بدر والمخبل السعدي وعبدة بن الطيب وعمر بن الأهتم، ووجد في نقد الشعراء للشعر فامرؤ القيس يمر بكعب وأخويه الغضبان والقعقاع فينشدوه، فيقول: (إني لأعجب كيف لا تمتلئ عليكم نارا جودة شعركم، ومن هنا سموا بني النار، ويقول النابغة: أشعر الشعراء من استجيد كذبه، وأضحك رديئة، وسمى كعب الغنوي كعب الأمثال لكثرة ما في شعره منها، وسمي طفيل الغنوي طفيل الخيل لكثرة وصفه إياها.

وسموا قصيدة سويد بن أبي كاهل (بسطت رابعة الحبل لنا) بـ: (اليتيمة) كما سموا بعد ذلك خطبة لسحبان بـ: (الشوهاء) لحسنها، ويقول زهير ويروى لحسان: (7)

وإنّ أَشعَرَ بيتٍ أنت قائلُه بيتٌ يُقال، إذا أَنشدتَه، صَدَقا

ورأى لبيد بعد شيخوخته أن أشعر الناس امرؤ القيس ثم طرفة ثم نفسه(8) هذه هي المظاهر في نقد الجاهلية تميزت بالفطرة والسليقة معتمدة على ذو حس فطري، وهناك العديد من الصور للنقد في هذا العصر وإلى ما سرى نحو ذلك من المظاهر للنقد في هذا العصر، مما لا داعي للإفاضة فيه وذلك لأنه ليس محـلا للدراسة؛ بل نكتفي بالإشارة إليه فقط كمدخل للنقد في صدر الإسلام.

موقف الإسلام من الشعر عامة، وموقفه ﷺ من الشعر خاصة: عندما جاءت الدعوة الإسلامية قاومتها قريش بكل قوتها وأسلحتها وكان الشعر من تلك الأسلحة التي استخدمتها قريش لمحاربة المسلمين ومقاومتهم. ولما أذن الرسول ﷺ بالهجرة من مكة إلى المدينة بعد اشتداد أذى قريش له وللمسلمين، هاجر معه نفر من صحابته الذين أسلموا من قريش وغيرهم وفي المدينة المنورة التفّ حوله المسلمون من المهاجرين والأنصار، وسرعان ما نشبت بين البلدتين معركة حامية الوطيس، تقف فيها قريش ومن يعينها من العرب في جانب، ويقف الرسول ﷺ وأصحابه من جانب آخر، فبمجرد أن اشتبكت السيوف أخذ الشعراء المتنافسون من الجانبين يسكون ألسنتهم، ومع أن حظ مكة من الشعراء في العصر الجاهلي كان قليلا؛ إلا أنه بعد نشوب الخصومة بينهما لمعت فيها أسماء شعراء كثر من أمثال أبو سفيان وعبدالله بن الزبعري، وضرار بن الخطاب وغيرهم [9]، وفي أثناء تلك الخصومة هاجم القرآن الكريم شعراء المشركين ومن ناصرهم بقوله: ﴿ **وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ**﴾ [10] هذه الآية التي نظرت إلى الشعراء على أنهم أناس لامكن لهم في مجتمع يقوم على الموافقة بين الظاهر والباطن، والمطابقة بين القول والعمل وأن الاستثناء الذي جاء في أعقاب هذه الآيات: ﴿ **إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْۚ وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ** ﴾ [11] لم يكن إلا إقرارا لعمل الرسول الكريم في الاستعانة بالشعراء المسلمين في مجابهة خصومهم. فالقرآن لم يهاجم الشعر من حيث هو شعر؛ وإنما هاجم شعرا بعينه كان يؤذي الله ورسوله. [12]

هذا بالنسبة إلى موقف الإسلام من الشعر عامة أما موقفه - عليه السلام - فكان - أيضًا - مطابقا لذلك، ويتضح موقفه - عليه السلام - من خلال مواقفه الجليلة التي منها كان حسان وعبدالله ابن رواحة وكعب بن زهير يمدحون ويسمع منهم ويصغي إليهم ويأمرهم بالرد على المشركين ، يتقولون في ذلك ويعرضون عليه وكان - عليه الصلاة السلام - يذكرهم ببعض ذلك، كالذي روي من أنه صلى الله عليه وسلم قال لكعب:(ما نسي ربك وما كان ربك نسيا شعرا قلته) يعني كعب بن مالك، وقال: وما هو يا رسول الله، قال أنشده يا أبابكر، فأنشده أبو بكر رضوان الله عليه: [13]

زَعَمَتْ سَخِينَةَ أن ستَغْلِبُ رَبَّهَا وَلَيُغْلَبَنَّ مُغَالِبُ الغَلَّابِ

وأما استشهاده إياه فكثير، من ذلك الخبر المعروف في استشهاده حين استسقى فسقى قول أبي طالب:

وَأَبْيَضُ يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِوَجْهِهِ ثِمَالُ الْيَتَامَى عِصْمَةَ لِلْأَرَامِلِ

ولما نظر ﷺ إلى القتلى يوم بدر مصرعين قال لأبي بكر: لو أن أبا طالب حي يعلم أن أسيافنا قد أخذت بالأنامل قال: وذلك لقول أبي طالب: (14)

كَذَبْتُمْ وَبَيْتِ اللهِ إِنْ جَدَّ مَا أَرَى لَتَلْتَبِسَنْ أَسْيَافُنَا بالأنـاملِ

من المحفوظ، قال محمد بن مسلمة الأنصـــاري: كنا يوما عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال لحسان بن ثابت: أنشدني قصيدة من الجاهلية فإن الله تعالى قد وضع عنا آثامها في شعرها وروايته، فأنشده قصيدة للأعشى هجا فيها علقمة بن علاثة(15)

عَلقَمُ ما أَنْتَ إلى عامِرِ النّاقِضِ الأوْتارِ والواتِرِ

فقال الرسول ﷺ يا حسان لاتعد تنشدني هذه القصيدة بعد مجلسك هذا، فقال: يا رسول الله تنهاني عن رجل مشرك مقيم عند قيصر، فقال النبي عليه السلام: يا حسان أشكر الناس للناس أشكرهم لله تعالى، وأن قيصر سأل سفيان بن حرب عني فتناول، سأل هذا عني فأحسن القول فشكره رسول الله ﷺ على ذلك. وقال حسان: يا رسول الله من نالتك يده وجب علينا شكره، وأما علمه عليه السلام بالشعر، فكما روى أن سورة أنشدت عدي وتميم من تحالف؟ فظنت عائشة وحفصة ﷺ أنها عرضت بهما وجرى بينهن كلام في هذا المعنى فأخبر النبي ﷺ فدخل عليهن وقال:(يا ويلكن) ليس في عدلكن ولا يتمكن قيل هذا؛ وإنما قيل في عدي تميم ويتم تميم وهو (16)

أَلَا منْ رأى العَبْدَين أوْ ذَكِرا لهُ عدَيٌّ وتَيمٌ تَبْتَغي مَنْ تُحالِفُ

وروى الزبير بن بكار قائلا: مر رسول الله ﷺ ومعه أبوبكر ورجل يقول في بعض أزقة مكة:

يَا أَيُّها الرجُلُ المُحَوِّلُ رَحلَه، هَلَّا نَزَلْتَ بآلِ عَبْدِ الدارِ؟

فقال النبي ﷺ: يا أبابكر هكذا قال الشاعر، قال: لا يا رسول الله ؛ ولكنه قال:

أَيُّها الرجُلُ المُحَوِّلُ رَحلَه، هَلّا نَزَلْتَ بآلِ عَبْدِ منافِ؟

فقال ﷺ: هكذا كنا نسمعها " [17] ، وأما ارتياحه - عليه السلام - للشعر واستحسانه له فقد جاء الخبر فيه من ذلك حديث النابغة الجعدي قال: أنشدت رسول الله قولي: [18]

بَلَغْنَا السَّمَاءَ مَجْدُنَا وَجدُودنا وَإِنّا لَنَرْجُو فَوْقَ ذَلِكَ مَظْهَرًا

فقال النبي ﷺ: (أين المظهر يا أبا ليلى) فقلت: الجنة يا رسول الله (أجل إن شاء الله). ثم قال: أنشدني، فأنشدته من قولي: [19]

وَلَا خَيْرَ في حِلْم، إذا لَمْ يَكُنْ لَهُ بَوَادرُ تَحْمي صَفْوَهُ أن يُكدَّرا
وَلَا خَيْرَ في جَهْلٍ، إذا لَمْ يَكُنْ لَهُ حَلِيمٌ، إذا ما أَوْرَدَ الأمْرَ أصدرا

فقال ﷺ: (أجدت لا يفضضن الله فاك، قال الراوي: فنظرت إليه فكان ماء البرد المنهل فأسقطت له سن) [20]، ولا يفوتنا أن نذكر هنا موقفه ﷺ من كعب بن زهير حينما جاءه تائبًا ووقف بين يديه في المسجد وأنشده قصيدته التي يقول فيها: [21]

بَانَتْ سُعَادُ، فَقَلْبي اليَوْمَ مَتْبُولُ، مُتيَّمٌ إثرَها، لَمْ يُفْدَ، مَكْبولُ
وما سُعَادُ، غَدَاةَ البَيْنِ، إذ رَحلوا، إلاّ أغنُّ غضِيضُ الطّرْفِ، مَكحول

ويستمر في هذا الغزل والرسول مصغ إليه إلى أن يقول:

نُبِّئْتُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ أَوْعَدَنِي وَالْعَفْوُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ مَأْمُولُ
مَهْلًا هَدَاكَ الّذِي أَعْطَاكَ نَافِلَةَ الْقُرْقَانِ فِيهِ مَوَاعِيظٌ وَتَفْصِيلُ
لَا تَأْخُذَنِّي بِأَقْوَالِ الْوُشَاةِ وَلَمْ أَذْنِبْ وَلَوْ كَثُرَتْ فِيَّ الْأَقَاوِيلُ

إِنَّ الرَّسُولَ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ مُهَنَّدٌ مِنْ سُيُوفِ اللهِ مَسْلُولُ

فاستحب النبي ﷺ كلامه وأعجبه فخلع عليه بردته وكساها لكعب ولقد اكتسى بها كعب حلة مجد لا تبلى ولقبت قصيدته من أجلها بالبردة.[22]

ومن هنا يتضح لنا كيف أن الشعر في حياة الرسول كان يجري على كل لسان سواء من قبل الشعراء المسلمين أم من قبل شعراء المشركين، ومعنى هذا أن الإسلام لم يرد العرب عن الشعر ونظمه، وأنه لم يثبط عن الشعر إلا حين وقف في وجه الدعوة الإسلامية.

هذا بالنسبة لما اختص به الشعر في صدر الإسلام، غير أن هناك من الأسباب ما جعل منه شعرا ضعيفا وذلك لضعف الحاجة بين العرب المسلمين في صدر الإسلام إلى الشعر لسببين:

1- محاربة الدين والعصبية الجاهلية التي كانت تغذي الشعر وتذكيه

2- انبهار العرب بأساليب القرآن الكريم والبلاغة النبوية، إذْ صرفهم ذلك عن الاهتمام بالشعر إلى العناية بالقرآن وحفظه والاهتمام بالخطابة لاستنهاض الهمم وتحريكها للجهاد.[23]

المبحث الرابع ـ موقف الخلفاء الراشدين من النقد الأدبي وأهم القضايا النقدية التي طرحوها :

لا معنى لهذا العلم إذا كانت دعامته قواعد نظرية، فلابد للمتعلم أن يتدرب على تطبيق هذه القواعد، وإلا كان شأنه شأن من يتدرب على السباحة دون أن يلقي بنفسه في البحر وقد تبلور في النقد الأدبي مذهبان رئيسيان هما الذاتي والتأثري.

من ذلك صور النقد في الإسلام؛ أنه وفد على الرسول الكريم وفد بنو تميم وفيهم قيس بن عاصم، والأقرع بن حابس فأنشد شاعرهم قصيدته فرد عليهم حسان بقصيدته التي منها قوله: [24]

، الذَّوَائِبَ مِن فِهْرٍ وإِخْوَتَهُمْ قَد بَيَّنُوا سُنّةَ للنّاسِ تُتَّبَعُ
ضَى بها كلُّ مَنْ كَانَتْ سَرِيرَتُهُ تَقْوى الإِله وبالأَمْرِ الذي شَرَعُوا

فقال تميم: والله إن هذا الرجل (الرسول ﷺ) والله لخطيبهم أبلغ من خطيبنا وشاعرهم أجود من شاعرنا، فجاء حكمه عما دون تحديد، إذا فقد " كان النقد في صدر الإسلام كما كان في الجاهلية آراء عارضة في محاسن الشعر ومساوئه " [25]

هذا حكم صادق من شخص لم يعرف إلا الصدق من الصحابة أيضا عمر بن الخطاب ﷺ فاروق زمانه وثاني خلفاء الإسلام، خليفة رسول الله ﷺ وهو يعد أول النقاد في تلك الفترة كان واسع الثقافة الأدبية، وكانت معرفته بالحياة العربية معرفة دقيقة مبسوطة، وقد كان كما نعلم أحد النسابين المعدودين، كما كان أبوه وجده ودلالة هذا على ما نحن فيه واضحة؛ حيث كان راوية للشعر جيد الاستحضار له لا يكاد يعرض له أمر إلا أنشد فيه بيت شعر وهذا الذوق الأدبي كان ناقدا صائب النظر دقيق الحكم في الشعر.

ومن مواقفه النقدية:

عن ابن عباس ﷺ قال: في رواية يذكرها ليلة مسير عمر إلى الجابية، فقال: هل تروي لشاعر الشعراء، فقلت: ومن هو؟ قال: الذي يقول:

و أنَّ حمداً يخلدُ الناسَ خُلدوا ولكنَّ حَمْد النّاس لَيْسَ بمخلد

قلت: ذلك زهير، قال: فذاك شاعر الشعراء، قلت: وبما كان شاعر الشعراء، قال: لأنه كان لا يعاضل في الكلام وكان يتجنب وحشي الشعر، ولم يمدح أحدا إلا بما فيه" ، ومن ذلك أيضا: أنه كان يتعجب من قول زهي[26]

فَإنَّ الْحَقَّ مَقْطَعُهُ ثَلَاثٌ أَدَاءٌ أَوْ نِفَارٌ أَوْ جِلَاءُ

وسمي زهير قاضي الشعراء بهذا البيت بقوله: لا يقطع الحق إلا الأداء أو النفار وهو الحكومة، أو الجلاء وهو العذر الواضح ، حتى قال بعض الرواة: " لو أن زهيرا نظر إلى رسالة عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري في القضاء ما زاد على ما قال " [27]، فلا عجب من ذلك وهو القائل: " تعلموا الشعر فإن فيه محاسن تبتغى ومساوئ تتقى"[28]، فبهذا الحكم وضع لنا الخليفة عمر قواعد للنقد وهي:

1- أن يكون الكلام واضحا لا تعقيد فيه.

2- أن تكون الألفاظ مألوفة لا غريبة ولا وحشية.

3 ـ أن تبتعد عن الغلو والإسراف والمبالغة.

فبهذا قدم عمر بن الخطاب ﷺ زهير ولم يحكم بذلك فقط؛ بل شرح سبب حكومته كما أسلفت سابقا، كان عمر يجلس مع أصحابه فيتذاكرون الشعر، وأبهم الشعر، وكان ﷺ يقول: " أفضل صناعات الرجل الأبيات من الشعر، يقدمها في حاجاته يستعطف بها قلب الكريم ويشتمل بها قلب اللئيم "، وقال للوفد الذين قدموا عليه من غطفان من الذي يقول: [29]

حلفتُ، فلم أتركْ لنَفسِكَ ريبةً وليسَ وَراءَ اللَّهِ للمَرءِ مَطْلَبُ

قالوا نابغة بن ذبيان، فقال لهم: فمن الذي يقول: [30]

فألفيت الْأَمَانَة لم تخنها كَذَلِك كَانَ نوح لَا يخون

قالوا: هو النابغة، قال: هو أشعر شعرائكم، ولابدع فعمر كان يعرف قدر الشعر ويستمع لآراء الشعراء ، وسئل مالك بن أنس: من أين شاطر ابن الخطاب عماله، فقال: أموال كثيرة ظهرت عليهم وإن شاعرا كتب إليه يقول: [31]

نَحُجُّ إذا حَجُّوا، ونَغْزُو إذا غَزَوْا فَإنّي لَهُمْ وفْرٌ، ولَسْتُ بِذِي وَفْرِ
إذا التَّاجِرُ الهندِيُّ جاءَ بِفَأْرَةٍ مِنَ المِسْكِ، راحَتْ فِي مَفارِقِهِمْ تَجْرِي
فَدُونَكَ مالَ اللهِ حَيْثُ وجَدْتَهُ سَيَرْضَوْنَ، إنْ شاطَرْتَهُمْ، مِنْكَ بِالشَّطْرِ

قال : فشاطرهم عمر أموالهم. هذا دليل ثان يدل على حسن تذوق عمر للشعر واستماعه للشعراء، والأدلة على ذلك كثيرة. قال ابن عباس: قال عمر بن الخطاب: أنشدني قول زهير، فأنشدته قوله في هرم بن سنان: [32]

قَومٌ أَبوهُمْ سِنَانٌ حينَ تَنسُبُهم كابُوا وطابَ مِنَ الأولادِ مَن وَلَدُوا
لو كان يَقْعُدُ فوقَ الشّمسِ من كَرمٍ قومٌ بأَوَّلِهم أو مَجْدِهِم قَعَدُوا

فقال لهم عمر: ما كان أحب إلي لوكان هذا الشعر في أهل رسول الله، ودخل ابن هرم ابن سنان على عمر بن الخطاب، فقال له: من أنت؟ قال: أنا ابن هرم بن سنان،

قال: صاحب زهير، قال: نعم، قال: إنه كان يقول فيكم فيحسن، قال: كذلك كنا نعطيه فنجزل، قال: ذهب ما أعطيتموه وبقي ما أعطاكم ومما يروى عنه أيضا في سماعه ونقده للشعر " إن سحيم عبد بني الحسحاس أنشده قوله:

عُمَيْرَةَ وَدِّعْ إنْ تَجَهزْتَ غادِيَا كَفَى الشيْبُ والإِسلامُ للمَرْءِ ناهِيَا

فقال عمر بن الخطاب ﷺ لو كنت قدمت الإسلام على الشيب لأجزتك، فاستحق الشاعر اللوم وحرم الجائزة مع أنه يذكر الإسلام ويبين أنه رادع للنفوس عن الاسترسال في النزوات؛ لأنه كان ينبغي في ضوء الفكرة الجديدة أن يؤجره، وهو القائل:" الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أعلم منه".[33] ومع استمرار الخلافة من قبل الخلفاء تتحدد لنا المواقف والمشاهد والأحداث الأدبيـــة التي غامرها هؤلاء الرجال في فتى تمييز بتذوقه للشعر من ذلك عندما فضل عمر بن الخطاب أبياتا لأبي معجز منها: [34]

لا تسأل الناسَ عن مالي وكثرته وسائل القومَ عن دِيني وعن خلقي
وأهجرُ الفعلَ ذا حُوبٍ وَمَنقَصَةٍ وأتركُ القولَ يُدنيني من الرَّهَقِ

ورأيه فيها ولا يذكر ذلك إلى أن قال: لعل كرم الله وجهه من أشعر الناس؟ قال الذي أحسن الوصف وأحكم الوصف وقال الحق، قال ومن هو؟ قال: أبو محجن، قال: أيدني يا أبا الحسن أيدك الله" [35]، وهو القائل: الشعر ميزان القول. [36] توقف الإمام علي بن أبي طالب عند إصدار حكمه بالمفاضلة بين الشعراء إلا إذا اتحدت أغراضهم وتشابهت ظروفهم وعرف السابق واللاحق ويميز الإمام من المؤتم به. ففي هذا القول الموجز وضع الإمام علي الحقائق التالية لكل شاعر يجيد في موضوع أو قصيدة أو بيت:

ـ لا يجوز الحكم بين شعراء اختلفت أزمنتهم وبيئاتهم
ـ عند المفاضلة ينبغي أن يكون الموضوع واحد
ـ الإحساس الذاتي للشاعر هو الأساس، وينبغي أن تتاح له الحرية حتى يجيد فلا خوف ولا طمع.

كما قال عمر جاء علي ﷺ كانا ناقدين عظيمين ذواقين للشعر فكلاهما أضفى على أدبنا العربي لبناته الأولى، وما تبعها من مكملات الحضارة الإسلامية كانا كالنجم الطالع في السماء ضوء يراه البعيد كذلك آراؤهم النقدية يستدل بها كل محتاج إلى بارقة الأمل التي تضيء ما حولها.

نتائج البحث:

من خلال ما سبق نخلص إلى النتائج التالية:

1- أخذت المقاييس الدينية تتسرب تدريجيًّا، معتمدة على أصول فنية كانت بدايتها آراء الخلفاء في عصر صدر الإسلام.

2- الطابع الإسلامي الذي طبع في الحياة العربية أثر في الذوق العربي كذلك على أن الصدق الخارجي يعد من الكماليات التي أعلت من قيمة الشعر العربي.

3- نظرة عمر بن الخطاب النقدية كانت لخدمة الدين أكثر منها خدمة للشعر، فدافعه الأول تأثير المبادئ الإسلامية في نقده للشعر، محاولا بذلك تغيير القيم الفنية السائدة والتي كانت تحكم الشعر.

الهوامـــــــــش :

1- لسان العرب، لابن منظور (دار الحديث القاهرة ، الطبعة الثالثة ، 2002م) مادة (نقد) ، 45/7.
2- محيط المحيط بطرس الشيباني (مكتبة لبنان، 1977م) مادة (نقد) ، 911.
3 - المعجم الوسيط إبراهيم مصطفى، مادة (نقد)، 2/ 991.
4 - معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة (مكتبة لبنان، الطبعة الثانية، 1989م) ، 917.
5 - أصول النقد الأدبي، أحمد الشايب (دار الاتحاد العربي ، للطباعة ، القاهرة ، الطبعة الثانية ،1973م) 345.
6 - المصدر السابق، 120.
7 - الحياة الأدبية في العصر الجاهلي، محمد عبد المنعم خفاجي (دار الجيل، بيروت، لبنان، 1992م) 341-342
8 - المصدر السابق، الموضع السابق.

9 - تاريخ الأدب العربي في العصر الإسلامي عمر فروج، دار العلم، 1965م، 17.
10 - سورة الشعراء، الآية (224- 225).
11 - سورة الشعراء الآيات (226_ 227).
12 - انظر: مقدمة في النقد الأدبي، محمد حسن عبدالله (دار البحوث العلمية، الكويت، الطبعة الأولى)، 274.
13 - العقد الفريد، أحمد بن عبدربه الأندلسي تحقيق: محمد سعيد العريان، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ط2)، 6/ 111.
14 - دلائل الإعجاز في علم المعاني، عبد القادر الجرجاني، 13 وما بعدها.
15 - ديوان علقم بن علاثة ، 104 - 108،
16 - البيت مذكور في دلائل الإعجاز ، 130
17 - انظر: المصدر السابق، 133.
18 - ديوان النابغة الجعدي: ٦٨، ٧٣.
19 - خزانة الأدب ، 2/ 167
20 - انظر: دلائل الإعجاز، 133.
21 - ديوان كعب بن زهير ، 60
22 - زاد المعاد في هدى خير العباد، لابن القيم الجوزية، 1/ 205.
23 - مفاهيم في الأدب والنقد، حكمة علي الأوسي، 20-45.
24 -ديوان حسان بن ثابت ، 65.
25 -الشعر والشعراء، لابن قتيبة ،1/ 143.
26 - ديوان زهير بن أبي سلمى ، 68.
27 - يُنظر: ((الشعر والشعراء)) لابن قتيبة (1/ 144
28 جمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي (ص:70)
29 -ديوان النابغة الذبياني ، 222.
30 - المصدر السابق ، الموضع السابق.
31 - العقد الفريد، (6/ 131)
32 -خزانة الأدب للبغدادي ،333/2.
33 - العمدة في محاسن الشعر وآدابه، لابن الرشيق، ص27.
34 - ينظر : طبقات فحول الشعراء ،لابن سلام الجمحي ، 1/ 64.
35 - شعر العقيدة، أيهم عباس، ص69.
36 - العمدة، لابن الرشيق، ص28